الوَهْن في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

تأليف

د. الوليد بن محمد بن صالح الخُضيري

عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه

الملخص:

الوهن في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

أنّ الوهن يأتى بمعنى: الضعف في الإرادة والعمل، وضعف لأمر خارجى ليس للإنسان فيه يد، فيكون الوهن في ثلاثة أشياء: ضعف في القلب، وضعف في البدن، وضعف في العمل. **وهن القلب والمقصود به:** انكسار حدته، فيضعف بعد قوة، ويفتر بعد عزم، ويخور بعد شجاعة وسببه فتور وخوف وتضعضع؛ فيؤثر في أداء وظائفه، فالقوة والعزم والشجاعة، كلها وظائف يقوم بها القلب، فإذا وهن عجز عن أداء تلك الوظائف. **وهن البدن:** وهو الضعف بعد قوة، وهو مادي ويتمثل في كبر السن، والأمراض، ووهن الحمل والولادة، وأما السبب الثاني فهو معنوي تتمثل في الخوف والحزن والهم ، **علاج وهن القلب:** وعلاج وهن القلب يكون بإزالة أسبابه والتى تمثلت في كراهية القتال والموت في سبيل الله، وحب الدنيا وعلاج القرآن هنا يكون ببيان عدة أمور تعمل على تصحيح مفهوم الواهن وتبصيره بحقائق الأمور حتى تنقشع الغشاوة عن قلبه ويزول أثر هذا الوهن قلبه فيتعافى بإذن ربه وهذه الأمور التى ينبغى للقلب الواهن أن يدركها:

Abstract :

The weakness in the Holy Quran (objective study)

The weakness comes in the sense of weakness in the will and work, and weakness of an external order that does not have a human hand, so weakness in three things: weakness in the heart, weakness in the body, and weakness in the work. The weakness of the heart, which is meant to be: the fracture of the intensity, weak after strength, and break after the determination, and after the bravery and courage caused by coldness, fear and confusion; affects the performance of its functions. Power, determination and courage are all functions of the heart.

The second reason is mental, which is fear, sadness, and pain. Treatment of heart failure: Treatment of heart failure is by removing its causes, which is the hatred of fighting and death for the sake of the heart. God, and the love of the world and the treatment of the Koran here be a statement of several things working to correct the concept of weakness and insight of the facts of things until the clouds fade from his heart and remove the impact of this weakness heart and recover with the permission of God and these things that the heart of the weak to recognize.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن أمراض الإنسان كثيرة منها العضوي ومنها النفسي ومنها الاجتماعي، ومن هذه الأمراض الفتاكة التي تنذر الأمة بالويل والدمار مرض الوهن وهو مرض عضال وداء عام قد نهى القرآن الكريم عن الوقوع فيه والركون إليه فقال تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٩]

وعالج القرآن الكريم الوهن بشتى صوره وأنواعه بدءاً ببيان أسبابه من تسلط الذنوب والمعاصي، وضعف العقيدة في القلوب، وضعف الولاء والبراء، وحب الدنيا وكراهية الموت، وبيّن أنواعه، حتى لايقع المسلم فريسة له، ولايركن إليه، فينغص عليه حياته ويؤثر في إيمانه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تبيين حقيقة الوهن وأسبابه ومضرته وأنه داء عضال ووباء عام كثر وقوعه في هذا العصر.

٢- تبيين خطورة الوهن وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع.

٣- أوجه معالجة القرآن الكريم للوهن وتخفيفه على الفرد والمجتمع.

٤- إبراز جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.

وقد استعنت بالله تعال أن يكون هذا البحث تحت عنوان "**الوهن في القرآن الكريم**" دراسة موضوعية حيث تضم المباحث التالية:

التمهيـــــــد وفيه: التعريف بالوهن وبيان معانيه

المبحث الأول : أنواع الوهن في القرآن الكريم **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وهن القلب في القرآن الكريم

المطلب الثاني: وهن البـــدن في القرآن الكريم

المطلب الثالث: وهن موالاة غير الله في القرآن الكريم

المبحث الثاني : أسباب الوهن في القرآن الكريم **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أسباب وهن القلب في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أسباب وهن البدن

المطلب الثالث: أسباب وهن موالاة غير الله

المبحث الثالث : معالجة القرآن الكريم للوهن **وفيه ثلاثة مطلبان:**

المطلب الأول: علاج وهن القلب في القرآن الكريم

المطلب الثاني: علاج وهن البدن في القرآن الكريم

الخـــــاتمة وفيها أهم النتائج.

التمهـيـــــد وفيه التعريف بالوهن وبيان معانيه

المعنى اللغوي للوهن

للوهن معان عدة في معاجم اللغة العربية فيأتي بمعنى: الضَّعْف فى العمل، وقيل الضعف من حيثُ الخَلْقُ والخُلق، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]. والوَهْنُ: الرجل القصير الغليظ. والوهْنُ والمؤْهِنُ: نحو من نصف اللَّيل أَو بقدْرِ ساعة منه.

ومن معاني الوَهْن: الضَّعْفُ في العمل وفي الأشياء. ويقال: رجل واهن في الأمر والعمل، والوَهِين بلُغة أهل مُضر: رجل يكون مع الْأَجِير في العمل يحثّه على الْعمل. (١)

الْفرق بَين الوهن والضعف

ومن العلماء من فرق بين الوهن والضعف وذكر أن: الضعْف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعله فنقول: خلقه الله ضعيفاً أو قوياً وفي القرآن قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

أما الوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي: لا تفعلوا فعل الضعفاء وأنتم الأقوياء ، فلا يقال خلقه الله واهناً، وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازاً ، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، بصيرة وهن، ٢٨٧/٥. العين للفراهيدي، ٩٢/٤. تهذيب اللغة للهروي، ٢٣٤/٦.مقاييس اللغة لابن فارس، ١٤٩/٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢٣٤/٥. مختار الصحاح للرازي، ص٣٤٦.

ويأتي الوهن بمعنى: انكسار الجد والخوف، والضعف بمعنى: نقصان القوة، والاستكانة: إظهار الضعف. (١)

والتحقيق في هذا أنّ الوهن يأتي بمعنى: الضعف في الإرادة والعمل، وضعف لأمر خارجى ليس للإنسان فيه يد.

فيكون الوهن في ثلاثة أشياء: ضعف في القلب، وضعف في البدن، وضعف في العمل.

وفي الاصطلاح

لا يخرج عن معناه اللغوي الوَهْن: الضعف من حيث الخلق، أو الخلق. (٢) ومورد الكلمة هي الآيات السابق ذكرها، وعند القرطبي: أن الوهن بمعنى الفتور والجبن عن قتال العدو، والضعف: انكسار الجد بالخوف. (٣)

(١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري، ١/١١٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٨٨٧.
(٣) معاني القرآن للزجاج، ١/٤٧٦. ٣/٣١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤/ ٢٣٠.

المبحث الأول: أنواع الوهن في القرآن الكريم

للوهن أنواع فالوهن لا يقتصر على الجسم فقط قد يكون وهن في الأمر أو الرأي أو المعدن أو العظم أو اللحم، وفي القرآن الكريم وردت أقسام للوهن تعرف من خلال السياق القرآني، حيث وردت ثلاث تقسيمات للوهن وهي: وهن القلب، ووهن البدن، ووهن من يتخذ أولياء من دون الله يستنصرون بهم ويعتمدون عليهم وتفصيل ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: وهن القلب في القرآن الكريم

والمقصود بوهن القلب هنا: انكسار حدته، فيضعف بعد قوة، ويفتر بعد عزم، ويخور بعد شجاعة، وسببه فتور وخوف وتضعضع؛ فيؤثر في أداء، وظائفه، فالقوة والعزم والشجاعة، كلها وظائف يقوم بها القلب، فإذا وهن عجز عن أداء تلك الوظائف، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨ – ١٤٣]

ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم – من القتل والقروح – عن جهاد عدوكم وحربهم، فهو حث على قتال العدو، ونهي عن العجز والضعف والجبن والفشل في طلب العدو في سبيل الله. (١)

فالوهن عند القرطبي جاء بمعنى العجز والفشل والضعف والجبن فيقول: "وحثهم على قتال عدوهم ونهاهم عن العجز والفشل فقال { وَلَا تَهِنُوا } أَيْ: لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم". (٢)

فالوهن هنا وهن القلب ولذلك جاء في تفسير البيضاوي: "والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم. وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وحالكم إنكم أعلى منهم شأناً،

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، ٢٣٤/٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٦/٤.

فإنكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة، وإنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار... وأنتم الأعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة. إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ متعلق بالنهي أي لا تهنوا إن صح إيمانكم، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله".(١)

ويقول السعدي:" يقول تعالى مشجعاً لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: {وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ } أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك".(٢)

فخلاصة الوهن أنه : ضعف النفس، الذي قد يؤدي إلى ضعف الجسم عن العمل، والحزن ألم نفسي يصيب الإنسان عند فقد ما يحب أو عدم إدراكه، أو عند نزول أمر يهم النفس، ويجعلها في هم دائم، ومعنى النهي عن الوهن والحزن – وهما أمران نفسيان – هو النهي عن الاسترسال في الألم مما أصابهم، والمغزى: لَا تسترسلوا في الهم والألم مما كان يوم أحد، فإن ذلك يؤدي إلى ضعفكم عن القتال، فليس النهي منصبا على أصل الوهن والحزن، ولكنه منصب على سببهما الذي هو في قدرة المؤمن وهو الاسترسال في الوهن والحزن.

والآية الكريمة تضمنت ذلك النهي، وتضمنت بشارة وتسلية، كما تضمنت فوق ذلك بيان سبب النصر وهو صدق الإيمان.(٣)

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ٣٩/٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص١٤٩.
(٣) زهرة التفاسير، لابي زهرة، ١٤٢١/٣.

وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨]

ومعنى الربانيون: من نسبوا إلى التأله والعبادة ومعرفة الربوبية لله تعالى وهذا دلالة قوة القلب بالإيمان وعدم ضعفه، فهم المؤمنون الصادقون الإيمان الذين يقاتلون ابتغاء ما عند الرب، فهم منسوبون للرب سبحانه وتعالى لخلوصهم له، واتجاه قلوبهم إليه وحده. (١)

فيلاحظ في هذه الآيات أن هناك ثلاث صفات لا تتفق مع الإيمان وقد نفاها الله عن الربانيين وهي:

أولها: الوهن فقد نفاه سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والوهن اضطراب نفسي، وانزعاج قلبي، فهو يبتدئ في الداخل، وإذا وصل إلى الخارج كان ضعفاً وتخاذلاً، وإذا أنتج الضعف نتائجه كانت الاستكانة والذل، ولذلك ابتدأ بنفي الوهن، وقرن نفي الوهن بكون سببه ما أصابهم في سبيل الله للإشارة إلى أن الوهن ينافي قوة الإيمان، لأن من كان يقاتل في سبيل الله عليه أن يعلم الغاية من القتال، وهي توجب تحمل كل الشدائد، والعاقبة للمتقين.

الوصف الثاني: الضعف والتخاذل الذي يوجبه اليأس والاضطراب، وهذا نتيجة للوهن.

والوصف الثالث: الاستكانة، وهي الرضا بالذل والعيش مع الهوان، وذلك ليس شأن المؤمن.

وقد نفَى سبحانه هذه الأوصاف الثلاثة مع أن واحدا يكفي نفيه لنفيها، لأنها متلازمة، لبيان قبح ما يقعون فيه لو سلطوا وصفاً منها على نفوسهم فاستمكن فيها. (٢)

ولذلك يقول السعدي:" ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم ... وعلموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤/٢٣٠.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٣/١٤٣٩.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة".[1]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾ [محمد: ٣٤ – ٣٥]

أي: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد الذين اعتدوا عليكم، وصدوا عن سبيل الله، وتَدعوا إِلَى السلمِ أي الصلح والمسالمة وأنتم الأغلبون، فإن كسح الضلال من طريق الحق لا منتدح عنه، ما تيسرت أسبابه، وقهرت أربابه وَاللَّهُ معكم بنصره ما تمسكتم بحبله ولن ينقصكم ثوابها ويضيعها.[2]

فالوهن هنا كما يقول ابن عاشور: "الضعف والعجز، وهو مجاز في طلب الدعة، ومعناه: النهي عن إسلام أنفسهم لخواطر الضعف، والعمل بهذا النهي يكون باستحضار مساوي تلك الخواطر، فإن الخواطر الشريرة إذا لم تقاومها همة الإنسان دبت في نفسه رويداً رويداً حتى تتمكن منها فتصبح ملكة وسجية، فالمعنى: ادفعوا عن أنفسكم خواطر الوهن واجتنبوا مظاهره، وأولها الدعاء إلى السلم وهو المقصود بالنهي، والنهي عن الوهن يقتضي أنهم لم يكونوا يومئذٍ في حال وهن".[3]

فقلب المؤمن قد يصاب بالوهن، والمؤمن نفسه يوصف بالقوة والضعف، كما في الحديث: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ**".[4] فالمراد بالقوة هنا:"عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص١٥١.
(٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٤٧٨/٨.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٦/ ١٣٠.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ٢٠٥٢/٤ حديث رقم:٢٦٦٤. وابن ماجه، باب في القدر، ٣١/١ حديث رقم: ٤١٦٨، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٨٧٧٧. وحسنه الألباني.

تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها".[1]

المطلب الثاني: وهن البـــدن في القرآن الكريم

ورد لفظ الوهن للدلالة على ضعف الجسم مرتين في القرآن أحدهما وهن العظم، والثاني وهن الحامل، قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾ [مريم: ١ – ٤]

ينادي زكريا عليه السلام ربه ويدعوه أن يهب له ولداً يرثه من بعده، وقدم بين يدي دعائه بيان وهن عظمه وكبر سنه، واجتهاده في، دعاء ربه من قبل وأن ربه عوّده أن يستجيب له.

فالمراد من هذه الآيات: "الإخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة، وقوله : { وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } أي: ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك".[2]

وذكر وهن العظم هنا؛ أي ضعف جداً {ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي } أي: هذا الجنس الذي هو أقوى ما في بدني، وهو أصل بنائه، فكيف بغيره.[3] ويقول الماوردي: "أي: ضعف وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان: أحدهما: أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى". [4]

والمقصد من ذكر وهن العظم في هذه الآيات يبينه السعدي بقوله: "أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، {وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا } لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ٢١٥/١٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢١٢/٥.
(٣) نظم الدرر للبقاعي، ١٦٨/١٢.
(٤) النكت والعيون للماوردي، ٣٥٤/٣.

وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } أي: لم تكن يا رب تردني خائباً ولا محروماً من الإجابة، بل لم تزل بي حفياً ولدعائي مجيباً، ولم تزل ألطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلاً إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقاً، أن يتمم إحسانه لاحقاً ".[1]

وهذا توسل منه عليه السّلام بما سلف منه تعالى من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعد ما عود عبده الإجابة دهراً طويلا لا يكاد يخيبه أبداً لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره، وفي هذا التوسل من الإشارة إلى عظم كرم الله عز وجل ما فيه.[2]

فوهن الجسم هنا إنما هو الضعف بعد قوة، كما في المرض أو مرحلة الشيخوخة، فوهن العظم إذن ليس مقصودا لذاته، وإنما هو إشارة إلى: وهن البدن كله.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤]

فمبتدأ خلق الإنسان من ضعف، وهي حالة كونه جنيناً، ثم صبياً إلى أن يبلغ أشده ، فهو كما أنشأكم أطواراً تبتدئ من الوهن وتنتهي إليه، فكذلك ينشئكم بعد الموت، إذ ليس ذلك بأعجب من الإنشاء الأول.[3]

فالمقصود أن الله سبحانه وتعالى خلق الأنفس في أطوارها المختلفة من ضعف إلى قوة ثم يتغير حالها من قوة في حال الشباب إلى ضعف، ثم إلى الشيخوخة وهرم وشيبه، أنه يخلق ما يشاء وهو العلم بتدبير خلقه، القدير على إيجاد ما يشاء، وفي هذا دليل على قدرته تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٤٨٩.
(٢) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ٣٨١/٨.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢١/ ١٢٨.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤]

ومعنى حملته أمه في بطنها، أنها تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف، فالمرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل، فيكون حملته بضعف على ضعف، وهذا يلزم أن حملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة؛ لأن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف ذلك ليبين وجوب حق الوالدة بما لزمها من التعب والنصب في الولادة. (١)

ومفهوم الآية أنه أمر ببر الوالدين وطاعتهما والقيام بحقوقهما؛ لأنهما تعبا في تربيته، وخصوصاً الأم فقد حملته في بطنها، وما زالت تضعف كلما مرت عليها أيام حملها ضعفاً على ضعف، فالمقام مقام توصية وخلاصة أقوال المفسرين في مفهوم الوهن، أنه الضعف، وقيل: الجهد والمشقة والشدة.

المطلب الثالث: وهن موالاة غير الله في القرآن الكريم

إن نصر الله يكون لأوليائه وذلك بإضعاف بأس الكافرين وتدبيرهم وفي هذا دلالة على أن من يتخذ من دون الله ولياً فهو مخذول وأن كيده ضعيف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٥ – ١٨]

وَالْمَعْنَى: أن الله عز وجل يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب حتى يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعف مكرهم. (٢) وفي هذه بشارة أخرى لأوليائه المؤمنين مع ما حصل لهم من نصر:

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي، ٢٨٧/٦. تفسير الخازن، ٣٩٨/٣. والتفسير البسيط للواحدي، ١٠٤/١٨. ومعاني القرآن للزجاج، ١٩٦/٤. وفتح الرحمن في تفسير القرآن للحليمي، ٣٠٦/٥. وفتح القدير للشوكاني، ٢٧٤/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٨٦/٧.

أنه سبحانه وتعالى أعلمهم بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل، ومصغراً أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار.(١)

وتوهين الكيد هنا يكون توهينُ الله كيدهم يكون بأشياء: بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا بسبب اختلاف عزائمهم.(٢)

يبين السعدي: أن الله تعالى يقول لنبيه لست بقوتك -حين رميت التراب -أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا. وأن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجراً حسنا وثواباً جزيلاً.

وأن الله تعالى يسمع ما أسر به العبد وما أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقداراً موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله.

وذلكم النصر من الله لكم { وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ } أي: مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقاً بهم.(٣)

فأهل الباطل يستفرغون وسعهم، ويبذلون جهدهم، في تدبير الضرر بأهل الحق، والله يوهن كيد أهل الباطل، فتوهين الله كيدهم أن ينقضه بعد إبرامهم، ويفكه بعد إحكامهم. فصفة توهين الكيد: إحداث الخلل فيه بعد إحكامه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت: ٤١]

يقول تعالى ذكره: "مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، كمثل العنكبوت في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، اتخذت بيتاً لنفسها، كيما يُكنها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣٢/٤.
(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل النعماني، ٤٨٣/٩.
(٣) ينظر: تفسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٣١٧.

أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم."[١]

فهذا مثل ضربه الله للمشرك مَثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه.

يقول ابن عطية: "شبه تعالى الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم جميع أمورهم على ذلك ب العَنْكَبُوت التي تبني وتجتهد وأمرها كلها ضعيف متى مسته أدنى هابة أذهبته فكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد".[٢]

فوهن بيت العنكبوت: غاية الضعف والوهن، لا يغني عنها شيئاً لا في حر، ولا قر، ولا مطر كذلك ما اتخذوه ولياً من دون الله. فإنه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يغني عنهم شيئاً شبه حال من اتخذ الأصنام والأوثان والأحبار والرهبان أولياء وعبدها، واعتمد عليها، راجياً لنفعها وشفاعتها، بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً لا يغني عنها في مطر ولا أذى، فالعنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى،

ثم بين حال بيتها، وأنه في غاية الوهن، بحيث لا ينتفع به، كما أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تجدي شيئاً.[٣]

فوجه التشبيه السائد عند المفسرين، أن المشركين في اتخاذهم، أولياء من دون الله، لا يغنون عنهم شيئاً، كالعنكبوت في اتخاذها بيتاً واهناً لا يغني عنها شيئاً .فوجه الوهن الاعتماد على شيء لا يصح الاعتماد عليه، ولا ينفع عند الحاجة إليه .

يقول ابن عاشور: "وهذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدّوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أن تدفع عنهم، كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم".[٤]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٣٨/٢٠.
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية، ٣١٨/٤.
(٣) ينظر: فتح البيان للقنوجي، ١٩٤/١٠.
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٥٢/٢٠.

"وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن، العمل في اتباع الشرع، فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ لقوتها وثباتها". (١)

فذكر سبحانه وتعالى أن من يتخذ من دون الله أولياء أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم فهم في ضعفهم وما قصدوه من إتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً. (٢)

فالنتيجة أن بيت العنكبوت يكون أوهن البيوت، وكذلك المشرك تكون ولايته؛ لغير الله أوهن الولايات؛ إذ إن مقتضى الولاية أن ينصر الولي من يواليه ويعينه ويساعده –فالولي القوي هو من يكون قادراً على القيام بمقتضيات الولاية، فإن كان عاجزاً عن ذلك فهو ولي واهن، وولي المشرك واهن، كبيت العنكبوت واهن.

فخلاصة ما تقدم أن وهن الولاية من دون الله يراد به: إما وهن الكيد كما في سورة الأنفال، وإما وهن الولاية كما في سورة العنكبوت، والكافر واهن الولاية والكيد.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/٢٧٩.
(٢) ينظر: الأمثال في القرآن لابن القيم، ص١٣.

المبحث الثاني: أسباب الوهن في القرآن الكريم

من خلال تتبع آيات القرآن في معرض حديثه عن الوهن، نجد أنه قسم الوهن إلى أنواع، ومن ثم تطرق إلى بيان أسباب هذا الوهن، وفي هذا المبحث يتضح بيان هذه الأسباب التي أدت إلى هذا الوهن.

المطلب الأول: أسباب وهن القلب في القرآن الكريم

المتتبع لآيات القرآن الكريم وهو يتحدث عن وهن القلب، يلاحظ أنه قد ذكر في أثناء بيانه لهذا الوهن أسبابه التي أدت إليه وبالترتيب القرآني لأسباب الوهن نجد أنه ذكر سببين لوهن القلب وهما كراهية الإنسان للقتال، وحبه للدنيا، وتفصيل ذلك كما يلي:

السبب الأول: كراهية القتال أو الجهاد

ذكر القرآن الكريم أنه كتب على المؤمنين القتال وهو شاق عليهم وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وبين أن منشأ كراهية المؤمنين للقتال يرجع إلى القروح والآلام التي تصيبهم؛ وهذا بدوره يؤدي إلى الوهن الذي يصيب القلوب؛ فيتولد عن ذلك ضعف وجبن وفتور وقعود عن القتال في سبيل الله تعالى؛ ولذلك يصور القرآن هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ – ١٤٦]

ففي الآيات بيان شاف وكاف أن ما يصيب المؤمنين من ألم أو قرح أو موت في سبيل نصرة هذا الدين، إنما هو سنة الله في خلقه، وابتلاء وكله خير لهم، وفيه تمحيص ومحق ليعرف الصادق الصابر، إذن فالإيمان درع واق ومانع من أن تكون هذه القروح والآلام سبب لوهن القلب.

ومعنى الآيات:"ولا تحزنوا، ولا تأسوْا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ، فإنكم أنتم الظاهرُون عليهم، ولكم العُقبَى في الظفر والنُّصرة عليهم، إن كنتم مصدِّقي نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يَعدكم، وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم....وعن الزهري قال: كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتلُ والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأسُ، فأنزل الله عز وجل القرآن، فآسَى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قومًا من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية، فهو سبحانه يعزّي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحثهم على قتال عدوهم، وينهاهم عن العجز والوَهن في طلب عدوهم في سبيل الله".(١)

ويبين ابن عاشور ذلك بقوله:"نهي للمسلمين عن أسباب الفشل والضعف ، وهو هنا مجاز في خور العزيمة وضعف الإرادة وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جبناً، واليقين شكاً؛ ولذلك نهوا عنه، وأما الحزن فهو شدة الأسف البالغة حد الانكسار، والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة فالنهي في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد... وفي قوله -تعالى-: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ} المعنى: إن يمسكم قرح فلا تحزنوا أو فلا تهنوا وهنا بالشك في وعد الله بنصر دينه، إذ قد مس القوم قرح مثله".(٢)

فالوهن الذي أصاب المؤمنين في أحد كان في عدة مشاهد فمنه عندما أرجف المشركون بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فوهَن بعضهم لذلك، وألقوا السلاح، فخاطبهم الله

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٢٣٤/٧.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٩٨/٤-٩٩.

بأن ثمة أنبياء سابقين قد قاتلوا وقاتل معهم الربيون، فما وهنوا لما أصابهم في أنفسهم، أو في قادتهم، من جراح أو قتْل بعضهم قد قعدوا عن القتال وألقوا السلاح.

وفي هذا يقول السعدي:" وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم."(١)

والخلاصة في معاني هذه الآيات: "إن كنتم مؤمنين .. فلا تهنوا، ولا تحزنوا، فإن الإيمان يوجب قوة القلب، والثقة بصنع الله تعالى، وقلة المبالاة بالأعداء، أو إن كنتم مؤمنين. فأنتم الأعلون؛ فإن الإيمان يقتضي العلو بلا شكٍّ.

ولا تضعفوا عن القتال، وما يتبعه من التدبير بسبب ما أصابكم من الجروح والفشل في يوم أحد، ولا تحزنوا على من فقد منكم في هذا اليوم، وكيف يلحقكم الوهن والحزن وأنتم الأعلون؛ فقد مضت سنة الله أن يجعل العاقبة للمتقين، الذين لا يحيدون عن سنته، بل ينصرون من ينصره، ويقيمون العدل فهم أجدر بذلك من الكافرين الذين يقاتلون لمحض البغي، والانتقام، أو للطمع فيما في أيدي الناس.

فهمة الكافر على قدر ما يرمي إليه من غرض خسيسٍ، ولا كذلك همة المؤمن الذي يرمي إلى إقامة صرح العدل في الدنيا، والسعادة الباقية في الآخرة إن كنتم مؤمنين ومصدِّقين بصدق وعد الله بنصر من ينصره، وجعل العاقبة للمتقين المتبعين لسنته في نظم الاجتماع حتى صار ذلك الإيمان وصفًا ثابتًا لكم حاكمًا على نفوسكم وأعمالكم.

إنما نهى عن الحزن على ما فات؛ لأن ذلك مما يفقد الإنسان شيئًا من عزيمته، وبالعكس صلته بما يحب من مالٍ أو متاع أو صديقٍ تكسبه قوة، وتوجد في نفسه سرورًا. والمراد بالنهي عن مثل ذلك معالجة النفس بالعمل ولو تكلفاً.

(١) تفسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص١٥٠.

وخلاصة ذلك الأمر: بأخذ الأهبة وإعداد العدة، مع العزيمة الصادقة، والحزم والتوكل على الله حتى يظفروا بما طلبوا، ويستعيضوا مما خسروا".[1]

وبهذا يتبين لنا وهن القلب في هذه المشاهد كلها سببه الهزيمة، التي لحقت بالمسلمين في أحد، وما خلفته فيهم من آلام وجروح فأصابهم الوهن جرّاء ذلك وتجلى هذا الوهن في حزن قلوبهم وقعودهم عن القتال، وكل ذلك يرجع إلى كره القتال.

السبب الثاني: حب الدنيا

بين القرآن بوضوح وجلاء أن حب الدنيا كان سبباً من أسباب هزيمة المؤمنين في أحد، ولذلك نجده عقب بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

يقول القرطبي:"وألفاظ الآية تقتضي التوبيخ لهم، ووجه التوبيخ لهم أنهم لما رأوا مبادئ النصر، فكان الواجب أن يعلموا أن تمام النصر في الثبات لا في الانهزام. ثم بين سبب التنازع فقال: (مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما شعرنا أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد".[2]
وفي قوله: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ}، يقول صاحب زهرة التفاسير: "ونرى الوعد بالنصر في الآية الأولى التي كان الوعد فيها عاما كان مقيداً بأن ينصروا الله في قتالهم، لَا يريدون مأربا دنيويا ولا عرضا من أعراض الدنيا، كما ترى الوعد في أُحد خاصة كان مقيدا بأن يصبروا، وقد تخلف الشرطان في أحد، فإن فريقا منهم أراد عَرَضا من أعْراض الدنيا في أثناء المعركة، ولم يصبِرُوا؛ إذ لم يضبطوا إرادتهم ولم تستحصد عزائمهم في طاعة القائد، فإن طاعة القائد من سبل النصر، وتحتاج إلى صبر وضبط نفس، ولذلك

(١) حدائق الروح والريحان، للهرري الشافعي، ٥/١٥٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤/٢٣٧.

لم يكن في أحد ما ينافي صدق الله وعده لنبيه، وصدق النبي في وعده لهم بإذن من ربه سبحانه وتعالى".(١)

والمعنى كان وعد الله صادقا كل الصدق عندما كنتم تقتلونهم بإذنه، مؤيدين منصورين، ومعنى الإذن هنا يتضمن معنى التأييد والتقوية والتثبيت، ولكنكم أنتم الذين أبعدتم أنفسكم عن نصر الله تعالى، وأشار إلى ذلك سبحانه بقوله: {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ}، أي حتى إذا ضعفت نفوسكم وعجزتم عن مقاومة أهوائكم، وَتنازعتم فيما بينكم أنتبع الغنائم نجمعها، أم نطيع الرسول؟ وانتهى أكثركم إلى العصيان من بعد ما أراكم الله -تعالى -ما تحبون من نصر مؤزر ثابت أو من غنائم تحبونها، وتهواها أنفسكم. وهذا يفيد أن الترتيب النفسي يتفق مع الترتيب في الذكر؛ وذلك لأن الفشل، ومعناه العجز النفسي عن الصبر والاحتمال، ترتب عليه التنازع وعصيان الرسول".(٢)

وكذلك ورد حب الدنيا في آية أخرى، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٥ – ٣٨]

يقول تعالى ذكره: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك الجهاد، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمرّ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه.(٣)

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة، ١٤٥٣/٣.

(٢) المرجع السابق، ١٤٥٤/٣.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٩٠/٢٢. المحرر الوجيز لابن عطية، ١٢٣/٥. محاسن التأويل للقاسمي، ٤٧٩/٨.

فالوهن هنا مرده حب الدنيا والتعلق بها، وكل هذا يدفع إلى التثاقل عن القتال، والعجز والفتور عن القيام بحق هذا الدين من نصرة، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨]

فبين القرآن الكريم أن حب الدنيا ومتاعها يوهن القلب؛ إذ يتعلق بها، فيدفعه ذلك إلى التثاقل عن الجهاد، وإيثار القعود والراحة.

والمعنى: "مالكم فعلتم هكذا أرضاً منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة".(١) فالدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله، الذي تحمله كلمة «الفرار» هي دعوة إلى أمرين معاً:

الأول: الانخلاع من سلطان الدنيا المستولي على النفوس، وذلك لا يكون إلا بمغالبة أهواء النفس، والوقوف منها موقف العدوّ الذي يتربص للإنسان على طريق الخير، ليحول بينه وبين الوصول إليه، فيفرّ المؤمن من دواعي الحياة الدنيا، فراره من العدوّ، الذي إن تلبّث أو فتر فى الفرار منه، هلك!!

والثاني: التماس السّبل التي تخلّص الإنسان من الوقوع في يد هذا العدوّ، الذي يحول بينه وبين الخير المدعوّ إليه من قبل ربّه، وهو الجهاد فى سبيل الله. وذلك لا يكون إلا بالفرار من وجه هذا العدوّ، واتخاذ وجهة أخرى غير الوجهة القائمة على سمته. وتلك هى وجهة الجهاد فى سبيل الله.

وفي قوله تعالى: {ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ} كناية عمّا يستولي على الإنسان من مشاعر التحير والانهزام، حين يواجه امتحاناً عسيراً، لم يكن مهيّأ له من قبل ولم يكن على نية صادقة، وعزيمة مجتمعة لخوض غماره.(٢)

والمتاع المقصود هنا جاء في آية أخرى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٥٣/٤. معالم التنزيل للبغوي، ٤٨/٤.
(٢) التفسير القرآني للقرآن للخطيب، ٧٧٠/٥.

ومتاع الدنيا هو ما يتعلق به الإنسان فيها من الأموال والأولاد، والأزواج، فلا ينبغي بسببه ترك النهوض عما تقتضيه مصلحة الدين، من نصرة أو هجرة أو جهاد أو دعوة.

وقد جمع هذين السببين كراهية القتال وحب الدنيا حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:"**كيف أنت يا ثوبان، إذ تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه؟ قال ثوبان: بأبي وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال**".(١)

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٣٢/١٤؛ حديث رقم:٨٧١٣ حسن لغيره.

المطلب الثاني: أسباب وهن البدن

وأما أسباب وهن البدن في القرآن الكريم فتدور حول سببين **أحدهما:** مادي ويتمثل في كبر السن، والأمراض، ووهن الحمل والولادة، وأما السبب **الثاني:** فهو معنوي يتمثل في الخوف والحزن والهم ولبيان هذين السببين يمكن التفصيل كما يلي:

السبب الأول: كبر السن والمرض والحمل والطلق

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٠]

ففي قوله: {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ} منكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر وهو أردؤه أو منكم من يكبر ويُسِن حتى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعدَ أنْ كَانَ عَالماً جاهلاً، وإنما ردّ إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه،: لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسى فلا يعلم منه شيئاً، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئاً بسبب الكبر والشيخوخة.[1] كما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس: ٦٨]، فمن يطل الله عمره يخرف وينتكس بعد شبابه وعقله إلى ضعف وخرف وهزال.

وفي بيان مراحل الإنسان العمرية في تفسير هذه الآية يقول الشوكاني: "واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الإنسان في أربع: **أولاها:** سن النشوء، **وثانيها:** سن الوقوف وهو سن الشباب. **وثالثها:** اعْلَمْ سن الانحطاط اليسير، وهو سن الكهولة. **ورابعها:** سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة. قيل أرذل العمر هو عندما يصير الإنسان إلى الخرف، وهو أن يصير بمنزلة الصبي الذي لا عقل له". [2]

وهنا يتبين لنا أن حياة مراحل الإنسان تمر بثلاث مراحل: الصبا والرشد والشيخوخة. وتقسيم هذه المراحل يلمح من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤]

والمعنى خلقكم من حالة ضعف وهي حالة كونه جنيناً ثم صبياً إلى أن يبلغ أشده فخلال هذه المراحل يبدأ من ماء مهين ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة وكلها ضعيفة، تبدأ من المراهقة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٢٥١/١٧. معاني القرآن للزجاج، ٢١١/٣.
(٢) فتح القدير للشوكاني، ٢١٣/٣.

إلى الشاب إلى الكهولة إلى الكمال ،ثم يجعل من بعد الكمال نقص وضعف وهو الشيخوخة فينتقل من مرحلة إلى مرحلة كما بينتها سورة الحج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥]
فهو استئناف مسوق لبيان حالهم، بعد تمام خلقهم. {ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ} أي: كمال قوتكم وعقلكم. والمعنى: ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئا. ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والتمييز ومنكم من يتوفى بعد بلوغ الأشد أو قبله ومنكم من يهرم ويخرف لكي لا يعلم من بعد علم كثير، شيئاً من الأشياء، أو شيئاً من العلم، لأجل أن لا يعلم هذا المعمر شيئا مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولية ونقصها، وضعف الهرم ونقصه، وهذا مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله.(١)

وكذلك نجد مظاهر هذا الوهن في: وهن العظم، وشيب الرأس، وخفوت الصوت، وازدياد الخوف، وضعف الخصوبة. قال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾ [مريم: ٣ – ٨]

فزكريا عليه السلام يصف حاله وقد بلغ من الكبر عتياً، وأن هناك مجموعة من التغيرات التي أصابت جسده وهي: وهن العظم، وشيب الرأس، وضعف الصوت وذلك تبعاً لزيادة العمر، فهي أسباب يصبح الإنجاب معها متعذراً، ويكون كبره مساوياً لعقم زوجته.

فخفت الصوت لضعفه وهرمه، كما جاء في صفةِ الشَّيْخ: صوتهُ خفاتٌ، وسمعهُ تارات، فهو أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت؛ إلا أنَّ صوته كان ضعيفاً؛ لنهايةِ ضعفه

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٢٣٣/٧. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٥٣٣.

بسببِ الكبر، فكان نداءً؛ نظراً إلى القصد، خفيًّا نظراً إلى الواقع. وضعف عظمه، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، وظهر شيبه؛ وهو دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه. (١)

ومن ناحية عوارض الحمل والولادة نجد أن الله تعالى بين ذلك في قرآنه حيث يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

فهذه وصية ببر الوالدين الشاهد فيها ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ } أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

ثم { وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ } وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟". (٢)

والمراد تضعف ضعفاً متزايداً بازدياد ثقل الحمل إلى مدة الطلق، ضعفاً متتابعاً وهو ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس وكل هذه أسباب لوهن البدن.

وأما ما يتعلق بوهن الولادة، فيقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

والمعنى: أنها قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً، من وحام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، فحملته في بطنها متعبة من حمله، تعباً يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل. ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه. (٣)

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ٦/١٣. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٤٨٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٦٤٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٨٠/٧. التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٩/٢٦.

بهذا يتضح لنا أن الحمل والطلق والنفاس كلها من مسببات الوهن لبدن الإنسان وهي عوارض تطرأ على الجسم لفترات معينة.

السبب الثاني: الأمراض المعنوية التي تعتري القلب

والمقصود بها الحزن والخوف والهموم والغم وهي تصيب القلب بالوهن، ويظهر أثرها في البدن من خور وضعف، لذلك نجد القرآن الكريم في كثير من الآيات ينهى عن الحزن والجبن والخوف والندم، ويحث على الصبر ومن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]
فالحزن يضاد ويضعف حياة القلب؛ ولذلك يقول ابن القيم مفرقاً بين الحزن والهم والغم:" ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب، ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب فإن ذهابها بالقرآن...والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم. (١)

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣]

ويتبين من هذا أن الحزن لم يأت في القرآن إلا منهياً عنه أو منفياً. وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره يوقفه عن سلوكه، فالحزن ليس بمطلوب ولا مقصود، ولا فائدة فيه فهو قرين الهم، وكلاهما مضعف للقلب عن السير مفتر للعزم. (٢)

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦]
قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣]

(١) الفوائد لابن القيم، ص٢٦.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ١/٥٠٠.

يقول السعدي: "ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية الخلق، ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان صلى الله عليه وسلم يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه صلى الله عليه وسلم عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} أي: مهلكها، غما وأسفاً عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيراً لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك. وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة."(١)

من الغضب ما يمكن صاحبه أن يملك نفسه عنده وهو الغضب في مبادئه فإذا استحكم وتمكن منه لم يملك نفسه عند ذلك وكذلك الحزن الحامل على الجزع يمكن صاحبه أن يملك نفسه في أوله فإذا استحكم وقهر لم يملك نفسه. (٢)

ولذلك نجد في السنة المطهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من ثمانية أمراض كلها توهن البدن وهي في قوله: "**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال وفي رواية وقهر الرجال**". (٣)

وفي كل اثنين قرين للآخر: فالهم والحزن قرينان؛ فالمكروه إن كان أمر مستقبل فهو هم، وإن كان من أمر ماض قد وقع فهو حزن. والعجز والكسل إن تخلف العبد عن أسباب الخير والفلاح لعدم قدرته فهو عجز، ولكن إن كان لعدم الإرادة فهو كسل.

(١) تيسير الكريم المنان للسعدي، ص٤٧٠.
(٢) ينظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، لابن القيم، ص٥٤.
(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الدين، ٧٨/٨.حديث رقم:٦٣٦٣ والترمذي في كتاب الدعوات، ٥٢٠/٥.حديث رقم:٣٤٨٤ والنسائي، في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهم، ٨/ ٢٥٧.حديث رقم:٥٤٤٩،

والجبن والبخل: إن عدم النفع منه وكان ببدنه فهو جبن، وإن كان بماله فهو بخل. وأما ضلع الدين وقهر الرجال: فإن استعلاء الغير عليه إن كان بحق فهو ضلع الدين، وإن كان بباطل فهو من قهر الرجال. (١)

المطلب الثالث: أسباب وهن موالاة غير الله

أفاض القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أسباب إذا تعلق بها الإنسان فإنه يفقد ولاية الله ونصرته ولا يجد غير الخذلان وهذه الأسباب كما يلي:

السبب الأول: اتباع اليهود والنصارى

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]

فاتباع اليهود والنصارى يؤدي إلى الوهن والذلة وتخلي نصرة الله وولايته لمن أطاعهم واتبع ملتهم، وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة، عياذاً بالله من ذلك، فإن الخطاب للرسول والأمر لأمته. (٢)

يقول البيضاوي إن هذه الآية: "مبالغة في إقناط الرسول صلّى الله عليه وسلّم من إسلامهم، فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فكيف يتبعون ملته. ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال: ﴿قُلْ﴾ تعليماً للجواب. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ أي هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى إلى الحق، لا ما تدعون إليه. ولَئن اتبعْت أَهواءهم آراءهم الزائفة. والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه، من أمللت الكتاب إذا أمليته، والهوى: رأي يتبع الشهوة بعْد الَّذي جاءك من العلم أي الوحي، أو الدين المعلوم صحته. ما لك من اللَّه من وليّ وَلا نصير يدفع عنك عقابه". (٣)

(١) ينظر: الداء والدواء، لابن القيم، ص٧٣.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٤٠٣.
(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي، ١/١٠٣.

السبب الثاني: طاعة الشيطان واتباع أمره

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩]

فنصيب الشيطان يكون بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلالَ والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق، فمن أجاب دعاءَه واتَّبع ما زينه له، فهو من نصيبه المعلوم، وحظّه المقسوم. وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عن حال نصيب الشيطان المفروضِ الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى. يقول الله: ومن يتبع الشيطان فيطيعه في معصية الله وخلاف أمره، ويواليه فيتخذه وليًّا لنفسه ونصيرًا من دون الله فقد هلك هلاكًا، وبخس نفسه حظَّها فأوبقها بخسًا" يبين عن عَطَبه وهلاكه؛ لأن الشيطان لا يملك له نصرًا من الله إذا عاقبه على معصيته إياه في خلافه أمرَه، بل يخذُله عند حاجته إليه. وإنما حاله معه ما دام حيًّا مهمَلا بالعقوبة. (١)

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: "وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.... فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئاب للغنم المنفردة... وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: {وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا } وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي". (٢)

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٩/٢٢٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٢٠٣.

السبب الثالث: التعاظم والاستكبار عن عبادة الله

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٧٣]

فشاهد الآية أن الذين أَنفوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبرًا، فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

فقوله: {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ} يعني: وأما الذين تعظَّموا عن الإقرار لله بالعبودة، والإذعان له بالطاعة، واستكبروا عن التذلّل لألوهته وعبادته، وتسليم الربوبيّة والوحدانية له فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجد المستنكفون من عبادته والمستكبرون عنها، إذا عذبهم الله الأليم من عذابه، سوى الله لأنفسهم وليًّا ينجيهم من عذابه وينقذهم منه، ولا ناصرًا ينصرهم فيستنقذهم من ربهم، ويدفع عنهم بقوّته ما أحلَّ بهم من نقمته، كالذي كانوا يفعلون بهم إذا أرادهم غيرهم من أهل الدنيا في الدنيا بسوء، من نصرتهم والمدافعة عنهم".[(١)]

السبب الرابع: عدم اتباع ما أنزل الله وهو القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]

والمعنى: قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل إليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان. واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ولا تتخذوا الذين يدعونكم إلى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم. والمعنى: ولا تتولوا من دونه شياطين الإنس والجن فيأمروكم بعبادة الأصنام واتباع البدع والأهواء الفاسدة قَلِيلًا ما يعني ما تتعظون إلا قليلا.[(٢)]

ولذلك فأعمال المشركين من عبادة ونحوها واهنة، ولا تنفعهم؛ لأنهم وجهوها وجهة خاطئة، وبنوها على غير أساس، فانهارت بهم في نار جهنم.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٤٢٧/٩.
(٢) للباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن الخازن، ١٨١/٢.

وهو كذلك نهي للأمة أن يتبعوا أولياء من دون الله يعبدونهم ويجعلونهم شركاء لله من الشياطين والكهان. تولُّونهم أمورَكم وتستجِيبون لهم وتستعينون بهم، فالله وحدَه هو الذي يتولّى أمر العباد بالتدبير والخلق والتشريع، وبيده النفع والضرر.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]

فلقد أنزل الله هذا القرآن محكماً متقناً، لئلا يقع فيه شك واشتباه؛ وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه ولا يتبع ما يضاده من الأهواء؛ ولذلك توعد رسوله مع أنه معصوم أنه إذا اتبع أهوائهم فإنه سوف تتخلى عنه ولاية الله ولن يجد من يتولاه ويقيه من الأمر المكروه.(١)

السبب الخامس: الركون إلى الظالم

ومن الأسباب كذلك الركون إلى الظالمين، وهو السكون إليهم والاطمئنان والموادة والرضا والميل إلى الظالمين، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]

يقول القرطبي: "{وَلَا تَرْكَنُوٓا۟} الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، ومعناه لا تودهم ولا تطيعوهم ولا تميلوا إليهم ولا ترضوا أعمالهم وكله متقارب".(٢)

فالمعنى لا تميلوا أدنى ميلٍ ولا تطمئنوا إلى أعداء الله وأَعدائكم الذين ظلموا أنفسَهم بالكفر والشرك فتستَحِقّوا عذابَ النار مثلهم. إنه لا ناصر لكم غير الله، ولا تنصَرون إلا بالاستقامة والإيمان.

ولذلك يقول السعدي: "ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها، ولهذا حذرهم عن الميل إلى من تعدى الاستقامة فقال: لا تميلوا {إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟} فإنكم، إذا ملتم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم ما هم عليه من الظلم {فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ} إن فعلتم ذلك {وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ} يمنعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا من ثواب الله.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٤١٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠٨/٩. تفسير القرآن للعز بن عبد السلام، ١٠٦/٢.

{ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم.

وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟". (١)

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٨ – ٢٠]
فهؤلاء الظالمون يصدون الناس ويمنعونهم عن اتباع الحق ويحولون دون سلوكه ويبغون الطريقة المؤدية إلى الإيمان عوجاً مائلة منحرفة وذلك بإلقاء الشبهات في قلوب الناس وقلب معاني الدلائل الدالة على صحة دين الإسلام وهم جاحدون وجودها منكرون البعث بعد الموت، فلن يفلتوا عن قبضة الله ، ولا يتمكنون من الهرب إذا أراد عذابهم للانتقام منهم وليس لهم أولياء يقدرون على تخليصهم أو يدافعون.(٢)

فهذا نهي عام عن موالاة الظالمين، ومناصرتهم، واتباع سبيلهم.. ومن الذين ظلموا، أولئك الذين يتأولون كتاب الله حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم، فيضلّون ويضلون غيرهم.

فيتضح من ذلك أن مرد هذه الأسباب يعود إلى ضعف الصلة بالله والتعلق بغيره وهو ما حكته سورة العنكبوت، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١ – ٤٣]
يقول ابن القيم: "أعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت".(٣)

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٣٩٠.
(٢) ينظر: بيان المعاني عبد القادر بن ملا، ١٠٨/٣.
(٣) مدارج السالكين لابن القيم، ٤٥٥/١.

فإن من فعل ذلك وهن أمره، وتخلخل تدبيره، واختل نظامه، وهذا يستوجب خذلان الله للإنسان،

ومن خذله الله فإنَّ أمْرَه إلى وهن، وتدبيرَه إلى دمار، وعزتَه إلى ذل، ورفعتَه إلى ضعة، وقوتَه إلى ضعف.

فالخذلان يكون بالذنوب والابتعاد عن الله وكتابه ولذلك فإن الوهن يصيب الكافرين بربهم لأنهم تعلقوا بغيره ووالوا سواه.

السبب السادس: التنازع والاختلاف

وهذا السبب أكثر تعلقاً بالمؤمنين فقد يصيبهم الوهن؛ إن بارزوا الله بمعاصيهم وضعف إيمانهم بالله وتنازعوا فيما بينهم، فالتنازع يسبب التفرق، والتفرق يؤدي إلى الوهن، لذلك نهى الله المؤمنين عن التفرق، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]
أمر بالاعتصام ونهي عن التفرق "فثنى أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم؛ وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء". (١)

"أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم، كما اختلف اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا، ويحاربه. أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق، ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم، وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام". (٢)

وبيان لضرر التفرق والتنازع، في أنه سبب للوهن، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣١/٤.
(٢) محاسن التأويل للقاسمي، ٣٧١/٢.

فإن الله سبحانه وتعالى يأمر بطاعته ورسوله، وطاعة الله هي لب الاستقامة، وطهارة القلوب، وهي التي تكون بها قوة الإيمان، وقوة الإيمان دعامة الانتصار، وهي قوة الجهاد، ودعامة الصبر، وتلك عناصر الجهاد الحق في سبيل الله تعالى.

وذكر تعالى بعد الأمر بطاعته ورسوله – النهي عن التنازع، والنهي عن التنازع يكون أولا بالنهي عن الخلاف، فإن الخلاف يؤدي إلى النزاع، والنزاع يؤدي إلى التنابذ والتدابر، وأن يكون كل فريق جمعاً منفصلًا عن الآخر، ويكون بأْسُهم بينهم شديدًا، وإن الأثر الواضح للتنازع هو الفشل والفشل هو العجز، بحيث كان النزاع كان العجز عن عمل جماعي؛ لأن العمل الجماعي يجب أن تتضافر فيه القوى، ويكون كل جزء من الجماعة متعاونا مع الجزء الآخر، فتتحد القوى، وتتلاقى نحو هدف معين يجمعها.[1]

وقد ذكر ابن القيم في معرض حديثه أن للنصر خمسة أسباب وقد أمر الله بها وهي: [2]

١. الثَّبَات.
٢. كثرة ذكره سبحانه وتعالى.
٣. طاعته وطاعة رسوله.
٤. اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها.
٥. ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضاً، وصار لها أثر عظيم في النصر. فالتنازع لا محالة يؤدي إلى تفريق الصف، وتشتيت الكلمة، فيهن أمر الناس.

(١) زهرة التفاسير لابي زهرة، ٣١٤٩/٦.
(٢) الفروسية لابن القيم، ص٥٠٦.

المبحث الثالث: علاج الوهن في القرآن الكريم

لا شك أن علاج الوهن يكون بإزالة الأسباب التي تؤدي للوهن، والقرآن فصل في علاج الوهن؛ لكي يتجنب المسلمون الوقوع فيه، والعمل على علاجه متى ما وقعوا فيه.

المطلب الأول: علاج وهن القلب في القرآن الكريم

وعلاج وهن القلب يكون بإزالة أسبابه والتي تمثلت في كراهية القتال والموت في سبيل الله، وحب الدنيا وعلاج القرآن هنا يكون ببيان عدة أمور تعمل على تصحيح مفهوم الواهن وتبصيره بحقائق الأمور حتى تنقشع الغشاوة عن قلبه ويزول أثر هذا الوهن قلبه فيتعافى بإذن ربه وهذه الأمور التي ينبغي للقلب الواهن أن يدركها هي:

أولاً: إدراك أن أجل الله لا يتقدم ولا يتأخر

يبين القرآن الكريم أن كل نفس ذائقة الموت ولا تموت نفس إلا بإذن الله، فهو قدر من أقدار الله، يموت الإنسان على فَرْشِه كما يموت على سَرْج فَرَسِه، ومن ثم فلا القتال يجلب الموت، ولا القعود يدفعه أو يؤخره، وما أصاب الإنسان من خير أو شر، ومن نصر أو هزيمة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥]
فالمراد به هنا: الحَضُّ على الجهاد، من حيث لا يموت أحدٌ فيه إلّا بإذن الله. حيث عاتب اللهُ تعالى بهذا المنهزمين يوم أحد؛ رغبة في الدنيا وضناً بالحياة، فأخبرهم أن الحياة لا تزيد ولا تنقص، وأنَّ الموت بِأَجلٍ عنده، لا يتقدم ولا يتأخر. (١)
وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ آل عمران: ١٨٥
وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨]

(١) ينظر: التفسير البسيط للواحدي، ٤٢/٦.

ففي قوله تعالى: {فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} يقول: لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به، من أن كل ما أصابهم من خير أو شر، أو ضرّ وشدة ورخاء فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يصيب أحدًا سيئة إلا بتقديره، ولا ينال رخاءً ونعمة إلا بمشيئته.وهذا إعلام من الله عبادَه أن مفاتح الأشياء كلها بيده، لا يملك شيئًا منها أحد غيره. فآجالهم لا تخطئهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون. (١)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤]

فالمقصود هنا أن الآجال بيد الله، ولو كنتم في بيوتكم، وقدَّر الله أنكم تموتون، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يُقْتلون، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال. والله عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم. (٢)

ولذلك دعوى أن القعود عن القتال يمنع الموت هي دعوى من لا يؤمن بقضاء الله، فسواء مات المرء أم قتل في سبيل الله، فمصيره واحد، وهو الحشر إلى ربه، ويستوجب أجره بما قدم من عمل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨]

والفرار لا يفيد شيئاً، فلو كان الإنسان في بيته لبرز الذين كتب عليهم القتل في مضاجعهم، لأنه إذا جاء القضاء والقدر اختفى وتلاشى كل سبب، وبطلت كل الوسائل والطرق التي يظن أنها تنجي.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٥٥٧/٨. التفسير البسيط للواحدي، ٦١٠/٦.

(٢) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص٧٠.

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦]

ويؤكد الله تعالى ذلك في آيات أخرى تبين أن أجله إذا جاء لا يتأخر ساعة ولا يتقدم، وأن كل أمة لا تسبق أجلها ولا يتأخر، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١]. قال تعالى: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [الحجر: ٥]. قال تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المؤمنون: ٤٣].

وبهذا يدرك المؤمن أن هذا قضاء الله وقدره وعليه الإيمان به، وعلى ذلك لا ينبغي أن يضعف ويستكين، بل يصبر ويستمر في جهاد هو إقامة دين الله.

ثانياً: سنة التدافع وأن الأيام دول

يبين الحق سبحانه وتعالى أن الأيام يداولها بين الناس، فمرة ينتصر أهل الحق، ومرة يغلب أهل الباطل، ومرة تصيب المسلمين الهزيمةُ والقروحُ والجراحُ وذهابُ النفوس وتلفُ الأموال، ومرة يصيب أعداءَهم ذلك الأمر. فكما يألم المسلمون يألم الكافرون. فالألم مشترك بين الطرفين، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فإن قروح المسلمين وجراحهم وبلاياهم لها ثمنها، من قُتل منهم فله الجنة، ومن أصيب في مال أو ولد فله ثوابه عند ربه، ولن يضيع ما عمله من عمل، ثم إن المؤمنين أهدافهم سامية وقيمهم رفيعة، وغايتهم الجنة، فأي الفرقين أولى بالصبر واجتناب الوهن؟!

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩ – ١٤٠]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤]

أي: لا تضعفوا في طلب عدوّكم بالقتال بل جدّوا فيهم واقعدوا لهم كل مرصد. ثم ألزمهم الحجة أنه ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم. وزاد في تقرير الحجة، وبيّن أن المؤمنين أولى بالمصابرة على القتال من المشركين وأنهم يأملون من القرب من الله واستحقاق الدرجات من جناته وإظهار دينه، كما وعدهم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ما لا يأملونه، وبين أنهم أولى بالجهاد من الكفار، وأجدر بإقامة كلمة الله فهو سبحانه لا يكلفكم إلا بما يعلم أنه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم. فجدوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة.(١)

ويقول السعدي: "لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وَهَن القلب مستدع لوَهَن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين: أن ما

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٣١٨/٣.

يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى".(١)

يقول ابن تيمية:" والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة... فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره، فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم إذ الجميع يظهرون الموالاة فإذا غلبوا ظهر عدوهم ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فإن منزلة الشهادة منزلة علية في الجنة، ولا بد من الموت فموت العبد شهيدا أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه، والله لا يحب الظالمين.

ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فإنهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان".(٢)

فسنة مداولة الأيام اقتضاها أمر الله حيث بدأ الصراع فيها بين الحق والباطل، وبهذا الصراع يتحقق البلاء للمؤمنين، وتتحقق الفتنة للكافرين، وإدراك المسلمين لهذه السنة يدفعهم إلى أن يسيروا في الأرض، ويبحثوا في التاريخ، وينظروا في عوامل القوة والضعف، وأسباب النصر والتمكين، وأسباب الهزيمة، فلا يغتروا بإيمانهم، بل لا بد من العمل، فلو يشاء الله لانتصر من أعدائهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ ﴾ [محمد: ٤]

وفي الوقت نفسه لا يتكلون على عملهم ويعتقدون أنهم به ينصرون، بل لا بد من التوكل على الله، وما يصيب المؤمن في هذه الدار هو أمر لازم لا بد منه لما اقتضته حكمة الله، يقول ابن القيم:" فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يبتلى المرء حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان فى دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على وجه الأرض وليس عليه خطيئة.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص١٩٩.

(٢) شرح العقيدة الإصفهانية، لابن تيمية، ص١٤٦.

ومن ذلك: أن ما يصيب المؤمن فى هذه الدار من إدالة عدوه عليه، وغلبته له، وأذاه له فى بعض الأحيان: أمر لازم، لابد منه، وهو كالحر الشديد، والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية فى هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين ، فلو تجرد الخير فى هذا العالم عن الشر، والنفع عن الضر، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالما غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تفوت الحكمة التى مزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة، والنافع والضار، وإنما يكون تخليص هذا من هذا، وتمييزه فى دار أخرى، غير هذه الدار".[1]

ثالثاً. معرفة قيمة هذه الدنيا وعدم إيثارها على الآخرة

يقرر القرآن الكريم أن هذه الدنيا التي يتعلق بها الإنسان؛ فتمنعه من القتال، وتُقعِده عن العمل، وتدفعه إلى التثاقل عن الطاعة ليست إلا متاعاً زائلاً، لهواً ولعباً، سرعان ما يزول، وتذهب كل لذائذها، وتفنى شهواتها، وأما دار الخلود فهي الجنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء:٧٧]

فليست الدنيا –من أولها إلى آخرها–تساوي شيئاً مع الآخرة. وما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار.

فبأي رَأْيٍ يكون إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب. [2]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨]

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان لابن القيم، ١٨٩/٢.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٣٣٧.

فالاستفهام هنا إنكاري، إذ ينكر على من آمن بالله، ولبس لباس المؤمنين به، ألّا يكون فى المجاهدين فى سبيل الله.. والتثاقل كناية عمّا يستولي على الإنسان من مشاعر التحير والانهزام، حين يواجه امتحانا عسيرا، لم يكن مهيّأ له من قبل ولم يكن على نية صادقة، وعزيمة مجتمعة لخوض غماره.. وفي قوله تعالى: {أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ} إنكار على هؤلاء الذين يفاضلون بين الحياة الدنيا والآخرة، بل ويفضّلون الحياة الدنيا على الآخرة، بعد أن رأوا بأعينهم ما انكشف لهم، فذلك غبن فاحش لا يرضاه عاقل لنفسه، ولا يصبر عليه لحظة، إن هو وقع فيه.

ثم يجيء قوله تعالى: {فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} حقيقة كاشفة مقررّة، يجدها بين يديه من لم ينكشف لبصره أو لبصيرته ما حملت من كلمات الله إليه من عرض هذا الوضع السيء الذي هو فيه من تثاقل إلى الأرض، ومن إيثار الحياة الدنيا على الآخرة، وما على هذه الأرض على ما في السماء.(١)

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ [محمد: ٣٥ – ٣٧]
والمعنى: "وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة لله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو".(٢)

فالله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار ابتلاء، ولم يجعلها دار جزاء، وما يحصل فيها من رفعة قوم أو ضعة آخرين لا يعني أن هذا هو الجزاء، ولا يعني ذلك أن من غَلَب فقد أثيب ومَنْ غُلِب فقد عوقب، ومن فاز

فيها فلا يعني أنه قد فاز، إنما الفائز من دخل الجنة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، ٧٧٢/٥.
(٢) لباب التأويل للخازن، ١٥٠/٤.

وعليه فلا يحزن المؤمن حين يرى تنعّم أهل الكفر في الدنيا، فذلك مبلغهم من المتاع، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧]

فهي مزرعة للآخرة ومن زرع حصد وليس للإنسان إلا ما يسعى، وعليه فلا ينبغي أن تكون الدنيا وشهواتها ومتاعها معوقاً يعيق الإنسان عن الجهاد وعن إقامة الدين، فنجاة الإنسان في الدنيا مرهونة بكسبه، ولن يفوز إلا من سلك طريق الجنة، وكل شيء يعيق الإنسان عن الفوز بالجنة فإنه عدو له، ولو كان زوجه وولده. قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٤ – ١٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤]

فالقرآن من خلال هذه الآيات الكاشفة يذكر المؤمنين بغايتهم وهي الجنة، ويكشف لهم عن مقدار هذه الدنيا، ويعيد توجيههم إلى إدراك حقيقتها فلا يغتروا بها ويركنوا إليها، فحب الدنيا وكراهية القتال والموت يدفعان إلى وهن القلب وعلاجه يقتضي إعادة النظر في إدراك حقيقتهما ومن ثم العمل بمقتضى ذلك الإدراك وهذا ما فعله القرآن.

المطلب الثاني: علاج وهن البدن في القرآن الكريم

تبين فيما سبق أن أسباب وهن البدن في القرآن الكريم تدور حول سببين أحدهما مادي ويتمثل في كبر السن، والأمراض، ووهن الحمل والولادة، وأما السبب الثاني فهو معنوي تتمثل في الخوف والحزن والهم وعلاج هذا الوهن كما ذكر القرآن يكون كالتالي:

أولاً: علاج كبر السن والمرض والحمل والطلق

ذكر الشوكاني بيان مراحل الإنسان العمرية فقال: "واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الإنسان في أربع: أولاها سن النشوء، وثانيها: سن الوقوف وهو سن الشباب. وثالثها: اَعْلَمْ سن الانحطاط اليسير، وهو سن الكهولة. ورابعها: سن الانحطاط الظاهر

وهو سن الشيخوخة. قيل أرذل العمر هو عندما يصير الإنسان إلى الخرف، وهو أن يصير بمنزلة الصبي الذي لا عقل له". [1] وهنا يتبين لنا أن حياة مراحل الإنسان تمر بثلاث مراحل: الصبا والرشد والشيخوخة. وتقسيم هذه المراحل يلمح من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤]

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل: ٧٠]

ففي قوله: {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ} منكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر وهو أردؤه أو منكم من يكبر ويُسِن حتى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعدَ أنْ كَانَ عَالماً جاهلاً، وإنما ردّ إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه،لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي فلا يعلم منه شيئاً، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئاً بسبب الكبر والشيخوخة. [2] كما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨]، فمن يطل الله عمره يخرف وينتكس بعد شبابه وعقله إلى ضعف وخرف وهزال.

إذن وهن البدن بسبب الشيخوخة وكبر السن إنما هي مرحلة عمرية، وسُنة من سُنن الله الكونية التي جعلها الله في الدنيا، ونجد مظاهر هذا الوهن في في سورة مريم تتمثل في: وهن العظم، وشيب الرأس، وخفوت الصوت، وازدياد الخوف، وضعف الخصوبة. قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٣ – ٨]

فزكريا عليه السلام يصف حاله وقد بلغ من الكبر عتياً، وأن هناك مجموعة من التغيرات التي أصابت جسده الشريف وهي : وهن العظم، وشيب الرأس، وضعف الصوت وذلك تبعاً لزيادة العمر.

فذكر أولا ما دل على الضعف الحقيقي، ثم ذكر ما يدل ظاهراً على الضعف، وهو أنه يعلوه الشيب أي انتشر الشيب فيه، ثم قال: {وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا} في هذه الجملة السامية الدلالة على رجائه من اللّه تعالى، وفيها ذاتها ضراعة، وعبر هنا بالدعاء،

(١) فتح القدير للشوكاني، ٢١٣/٣.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٢٥١/١٧. معاني القرآن للزجاج، ٢١١/٣.

وفى الأولى بالنداء للدلالة على أن النداء استغاثة وتلهف ورجاء، ودعاء وعبادة وتقى، وذكر {رَبِّ} في هذه لبيان أن نعمه سبحانه وتعالى موصولة دائما منذ خلقه إلى أن يبعثه نبياً، و {شَقِيًّا} بالأمر إذا تعب فيه ولم ينل ثمرته، أو طرد من خير، والمعنى لم أكن منذ خلقتني بدعائك محروماً متعباً، بل كانت نعمة واستجابة دعائي قائمة دائمة موصولة، وفي نفي الشقاء في الدعاء ماضيا تأكيد للرجاء قابلاً، وأن ذلك من طرائق الاستجابة والرغبة فيها، وإن ذكر النعمة الماضية شكر لها وإيذان لشكر فاعله.

ومن هذا يستخلص أن وهن البدن الذي يكون سببه الكبر والشيخوخة، يتمثل علاجه في حسن الصلة بالله تعالى المتمثلة في عبادته ودعائه وشكره والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى فهذه أدوية معنوية تزيد من إيمان العبد فيقوى بذلك بدنه؛ لأن كبر السن ومرحلة الشيخوخة أمر مقدر ولا علاج له من هذه الناحية.

ومن ناحية عوارض الحمل والولادة يقول تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

ثم {وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ} وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟ (١)

والمراد تضعف ضعفاً متزايداً بازدياد ثقل الحمل إلى مدة الطلق، ضعفاً متتابعاً وهو ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس وكل هذه أسباب لوهن البدن.

وأما ما يتعلق بوهن الولادة، فيقول تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]

والمعنى: أنها قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً، من وحام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، فحملته في بطنها متعبة من حمله، تعباً يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل. ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه. (٢)

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٦٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٨٠/٧. التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩/٢٦.

بهذا يتضح لنا أن الحمل والطلق والنفاس كلها من مسببات الوهن لبدن الإنسان وهي عوارض تطرأ على الجسم لفترات معينة ومؤقتة، وعلاج ذلك يكون في القرآن يكون بالصبر والصلاة، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

واصبر على ما أصابك من الشدائد والمحن، كالأمراض والفقر والهم والغم، والصبر: حبس النفس عما يقتضي الشرع أو العقل والكف عنه، ثم ذكر علة ذلك فقال: {إِنَّ ذَلِكَ} الذي أوصيك به {مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ}؛ أي: من الأمور التي جعلها الله تعالى محتومة واجبةً على عباده، لا محيص عنها لما لها من جزيل الفوائد وعظيم المنافع في الدنيا والآخرة، كما دلت على ذلك تجارب الحياة، وأرشدت إليه نصوص الدين.(١)

فيبين القرآن الكريم أن الصبر سلاح المؤمنين، والصبر قوة، القلب على تجاوز المكروه وتحقيق المحبوب، فتجاوز المكروه يتمثل فيتحمل الشدائد النازلة، ومن دون الصبر فلا يكون الإنسان إلا كُتلة من الوهن، والمؤمن مأمور بالصبر على بلاءٍ حَلّ به، أو مصيبةٍ نزلت به،وحين يصبر يؤجر، وهذا من عزم الأمور، الذي لا يُلَقّاه إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة: ٤]، فإن الله تعالى أمرهم أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور.(٢)

ثانياً: علاج الأمراض المعنوية التي تعتري القلب

والمقصود بها الحزن والخوف والهموم والغم وهي تصيب القلب بالوهن، ويظهر أثرها في البدن من خور وضعف، وعلاجها إنما يكون بتحقيق الإيمان بالله وبقضائه وقدره في القلب، واستشعار معية الله، والتوكل على الله، وولايته، واليقين أن المصائب والبلايا تكفر خطاياه، فيصبر ويحتسب.

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان، للهرري الشافعي، ٢٤٩/٢٢. أوضح التفاسير لمحمد بن الخطيب، ص٥٠١.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٥١.

لذلك نجد القرآن الكريم في كثير من الآيات ينهى عن الحزن والجبن والخوف والندم، ويحث على الصبر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

فالحزن يضاد ويضعف حياة القلب ولذلك يقول ابن القيم مفرقاً بين الحزن والهم والغم: "ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب، ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب فإن ذهابها بالقرآن...والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم."(١)

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

ويتبين من هذا أن الحزن لم يأت في القرآن إلا منهياً عنه أو منفياً. وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره يوقفه عن سلوكه، فالحزن ليس بمطلوب ولا مقصود، ولا فائدة فيه فهو قرين الهم، وكلاهما مضعف للقلب عن السير مفتر للعزم.(٢)

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

فالإنسان إذا علم أن ما قدره الله له كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب. وفي هذا تعليم للمسلمين على أن يتخلقوا بهذا الخلق وهو أن لا يحزنوا لما يصيبهم لئلا يهنو وتذهب قوتهم.(٣)

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]

(١) الفوائد لابن القيم، ص٢٦.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ١/٥٠٠.
(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني، ٢/٤٢١. التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٠/٢٢٣.

نهى النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا بكر لما حزن واشتد قلقه بأن لا يحزن، فإن الله معنا: بعونه ونصره وتأييده، فترتب على تلك المعية: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد والرعاية والحفظ. (١)

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]

يهد قلبه عند المصيبة فيعلم أنها من الله فيسلم لقضاء الله ويستريح: أي للتسليم والاسترجاع عند المصيبة، أو يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، فالحزن الذي ينزل على القلب هنا بسبب المصيبة إنما علاجه أن يعلم أنها بقضاء الله وقدره. (٢)

وبذلك تظهر في المؤمن ثمرة الإيمان بالقدر وهي: (٣)

أولا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

ثانيا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ويعقب هذا الدعاء والتضرع إلى الله تعالى؛ ولذلك نجد في السنة النبوية أن النبي ﷺ استعاذ من هذه الأمراض التي توهن البدن وهي في قوله: "**اللهم إني أعوذ بك من الهم**

(١) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، للعليمي الحنبلي، ١٨٨/٣. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: التفسير البسيط للواحدي، ٤٨٦/٢١. فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١٧٠/١٤.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ٢٦٠/٣.

والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال وفي رواية وقهر الرجال". (١)

المطلب الثالث: علاج وهن موالاة غير الله في القرآن الكريم

أفاض القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أسبابٍ، إذا تعلق بها الإنسان فإنه يفقد ولاية الله ونصرته ولا يجد غير الخذلان وهذه الأسباب حسب الترتيب القرآني للآيات، تتمثل في: اتباع اليهود والنصارى، طاعة الشيطان، التعاظم والاستكبار عن عبادة الله، مخالفة القرآن وعدم اتباعه، الركون للظالم، التنازع والاختلاف وعلاج هذا الوهن في القرآن على النحو التالي:

أولاً: مخالفة اليهود والنصارى

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]

فاتباع اليهود والنصارى يؤدي إلى الوهن والذلة وتخلي نصرة الله وولايته لمن أطاعهم واتبع ملتهم، وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارىن بعد ما علموا من القرآن والسنة، يقول البيضاوي إن هذه الآية:" مبالغة في إقناط الرسول صلّى الله عليه وسلّم من إسلامهم، فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فكيف يتبعون ملته". (٢)

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]

فكثير منهم ودوا أنهم يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسدا من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، من بعد ما تبين لهم الحق في أمر محمد، وأنه نبي إليهم وإلى خلقي كافة. (٣)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الدين، ٧٨/٨.برقم:(٦٣٦٣) والترمذي في كتاب الدعوات، ٥٢٠/٥. والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهم، ٢٥٧/٨.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي، ١٠٣/١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٤٩٩/٢.

"وفي الآية تنبيه أن كثيراً من أهل الكتاب يتمنون ارتدادكم بعد إيمانكم حسداً، وقوله: {عِندِ أَنفُسِهِم} أي من عند هواهم، وعبر عن الهوى بالنفس وهي الأمارة بالسوء، وبين أنهم فعلوا ذلك بعد وضوح الحق لهم، ولكنهم بحسدهم وهوائهم لا يتحرونه، ولا يحبون أن يتحراه غيرهم، ثم أمر بالتجافي عنهم إلى أن يأتي الله بأمره تسكيناً لهم ووعداً بتغييره لقدرته على كل شك".(١)

وفي هذا إخبار للمسلمين بحرص اليهود والنصارى على فتنتهم وردهم عن الإسلام والتشكيك عليهم في دينهم.(٢) فهم يودون ويتمنون أن يرتد المسلمون الذين آمنوا بالنبي وأن يعودوا كفاراً بعد ما كانوا مؤمنين، وهذا التمني وتلك الرغبة بسبب الحسد الكامن والداء الباطن في أنفسهم، لا ميلا مع الحق ولا رغبة، بل هذا التمني بعد ما ظهر لهم أن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [آل عمران: ٦٩]

أي: تمنت وأحبت إضلالكم، والمعنى: تمنت طائفة من أهل الكتاب ضلالكم، ولم يكن ذلك منهم أمنية يتمنونها فقط، بل كانوا يقرنون القول بالعمل، فكانوا يلقون بالظنون والشكوك والأوهام حول الدعوة المحمدية ليرتاب الذين آمنوا، وكان منهم منافقون ينبثون بين المسلمين باسم أنهم مسلمون، ويلقون بالريب والتشكيك في النبي – صلى الله عليه وسلم – وما جاء به.(٣)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]

وهذا خطاب الله سبحانه للمؤمنين محذراً لهم عن طاعة اليهود والنصارى مبيناً لهم أن تلك الطاعة تفضي إلى أن يردوهم ويصيروهم بعد إيمانهم كافرين، والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء، وفي الآخرة النار.(٤)

---

(١) تفسير الراغب، ٢٩١/١.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني، ٢١٤٩/١.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة، ١٢٦٨/٣.

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ٢٩٩/٢.

فموالاة اليهود والنصارى وهن للمؤمنين ويترتب عليه تخلي نصرة الله لهم، وفي مخالفتهم طاعة لله تعالى.

ثانياً: مخالفة الشيطان وعدم اتباع أمره

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩]

يقول الله: ومن يتبع الشيطان فيطيعه في معصية الله وخلاف أمره، ويواليه فيتخذه وليًّا لنفسه ونصيرًا من دون الله فقد هلك هلاكًا، وبخس نفسه حظَّها فأوبقها بخسًا يبين عن عَطَبه وهلاكه؛ لأن الشيطان لا يملك له نصرًا من الله إذا عاقبه على معصيته إياه في خلافه أمرَه، بل يخذُله عند حاجته إليه. وإنما حاله معه ما دام حيًّا ممهَلا بالعقوبة.(١)

ولهذا قال: { وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا } وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي.(٢)

فالعلاقة مع الشيطان مخالفته واتخاذه عدواً، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦]

والمعنى: "{إِنَّ الشَّيْطَانَ} الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله، يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه إنما يدعو حزبه، ينعي شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله؛ ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها".(٣)

(١) جامع البيان للطبري، ٩/٢٢٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٢٠٣.
(٣) جامع البيان للطبري، ٢٠/٤٤٠.

يقول السعدي:" الشيطان عدوكم في الحقيقة، لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائماً لكم بالمرصاد.
{ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ } هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.(١)

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس: ٦٠]

العهد هنا: هو ما كان من الله سبحانه وتعالى من تحذير من الشيطان وأعوانه وعبادة الشيطان، هى اتّباعه فيما يدعو إليه، وهو لا يدعو إلا إلى ضلال، وشرك، وكفر.
والاستفهام فى الآية للتقرير الذي يثير مشاعر الندم ، فالعهد الذي أخذه الله على أبناء آدم جميعا، هو أن يتجنبوا عبادة الشيطان، وأن يحذروا الاستجابة له فيما يدعوهم إليه، وأن يعبدوا الله وحده. فهذا هو الصراط المستقيم، فمن لم يعبد الله، فقد ضل وهلك؛ لذلك يقول السعدي: "فعلوم الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم".(٢)
وهذا يدل على أن موالاة الشيطان وطاعته من الوهن وعلاجه إنما يكون بمخالفته.

ثالثاً: الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالعبادة

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧٣]

فشاهد الآية أن المؤمنون المقرّون بوحدانية الله، الخاضعون له بالطاعة، المتذلّلون له بالعبودية، والعاملون الصالحات من الأعمال وعدهم الله بأن يُوفيهم فلا ينقصهم من الثواب على أعمالهم الصالحة، وأما الذين يأنفون عن عبادة الله وطاعته ويترفعون تكبرًا،

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٦٨٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٣/٤٦. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٦٩٨. التفسير القرآني للقرآن للخطيب، ١٢/٩٤٦.

فسيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر. (١)

وفي الآية توعد الله تعالى كل من يستنكف عن عبادته عنها من سائر الناس بأنه سيحشرهم جميعاً ويحاسبهم على أعمالهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بألوهيته تعالى وحده وعبدوه وحده بما شرع لهم فهؤلاء يوفيهم أجورهم كاملة ويزيدهم من فضله. وأما الذين حملتهم الأنفة والكبر على عدم قبول الحق والرجوع إليه فأصروا على الاعتقاد الباطل والعمل الفاسد فيعذبهم تعالى عذاباً أليماً، أي: موجعاً لا يجدون لهم من دونه ولياً ولا ناصراً فينتهي أمرهم إلى عذاب الخلد جزاء بما كانوا يعملون. فالوهن هنا تمثل في الاستكبار وعدم قبول الحق فمن يتصف بهذا تتخلى عنه نصرة الله وولايته، فيكون العلاج بالخضوع لله والتواضع له والإيمان به والتذلل بعبادته.

رابعاً: اتباع القرآن الكريم والاحتكام إلى شرعه

وذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية ونور مبين من عمل به هدي إلى الصراط مستقيم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢]

والمعنى أن هذا القرآن لا شك فيه أنه من عند الله وأنه هدى للمؤمنين الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. (٢)

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]

والمعنى: قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل إليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان. واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ولا تتخذوا الذين يدعونكم إلى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم. (٣)

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥]

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٩/٤٢٦-٤٢٧. محاسن التأويل للقاسمي، ٣/٢٨٦.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/١٦٣.

(٣) لباب التأويل للخازن، ٢/١٨١.

فهذا القرآن كثير البركة فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا قد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا قد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة {فَٱتَّبِعُوهُ} فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه {وَٱتَّقُواْ} الله تعالى أن تخالفوا له أمراً، إن اتبعتموه فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب، علما وعملا؛ لما هو مشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدينية.(١)

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]

فلقد أنزل الله هذا القرآن محكماً متقناً، لئلا يقع فيه شك واشتباه؛ وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه ولا يتبع ما يضاده من الأهواء؛ ولذلك توعد رسوله مع أنه معصوم أنه إذا اتبع أهوائهم فإنه سوف تتخلى عنه ولاية الله ولن يجد من يتولاه ويقيه من الأمر المكروه.(٢)

وإنما سمي القرآن حكما لأن فيه جميع التكاليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والإبرام، فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة، وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى.(٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] أي: للتي هي أعدل وأكثر استقامة وتوجيها ، فيحمل في نفسه برهان صدقه، قوياً في ذاته خيراً في نتيجته وهدايته، لكل أنواع مناهج الخير والرشاد، فيشمل : الشريعة التي تهدي للتي هي أقوم، وملة التوحيد التي هي أقوم، ومناهج الخير التي هي أقوم في سلوك الإنسان، وهكذا يشمل تقدير المحذوف كل ما هو خير في ذاته، وخير في دلالته، وقد قدره بعض العلماء بما يقرب من هذا الشمول، فقال يهدي للحال التي هي أقوم لتشمل الحال حال المجتمع، وحال

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٢٨٠. فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ٢٨١/٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٤١٩.

(٣) ينظر: لباب التأويل للخازن، ٢٢/٣. حدائق الروح والريحان للهرري، ٢٩١/١٤.

الأسرة، وحال الإنسانية، وكل حال هي خير للإنسان في عاجلته وآخرته، معاشه ومعاده.(١)

هذا هو الوصف المؤثر في التوجيه الإنساني للقرآن، وفيه وصف إيجابي هو السبب في هدايته مع إعجازه. والآيات في هذا المقام كثيرة كلها تشير إلى أن اتباع القرآن هداية وموالاة لله تعالى وعزة وعصمة لمن اتبعه، والوهن إنما يكون في مخالفته والسير في غير هداه.

خامساً: عدم موالاة الظالمين والركون إليهم

فحقيقة الركون الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به وطاعتهم والميل إليهم والرضا بأعمالهم وكلها متقاربة. (٢) وعلاج ذلك يكون بعدم موالاتهم والركون إليهم ولا يتم هذا إلا بالاستقامة والإيمان.

ففي الحديث: "قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك –قال أبو معاوية: بعدك–قال:" قل: **"آمنت بالله ثم استقم"**. (٣)

ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢ – ١١٤]

والمعنى: فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك، والأمر ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته، ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ولا تميلوا وهو المحبة والميل بالقلب، ولا ترضوا بأعمالهم، و لا تداهنوا الظلمة، ولاتسكنوا إلى الذين ظلموا فتصيبكم النار بحرها وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه، ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم

(١) ينظر: تفسير ابن عرفة، ٥٩/٣. زهرة التفاسير لابي زهرة، ٤٣٤١/٨.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠٨/٩. تفسير القرآن للعز بن عبد السلام، ١٠٦/٢.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٥٤١٦وإسناده صحيح على شرط الشيخين.وصححه الألباني في الجامع برقم:٤٣٩٥

من عقاب الله غداً في القيامة ففيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة أو رضي بأعمالهم أو أحبهم وفي هذا ميل إلى العدل وعدم الخروج عن حدود الله. (١)

فالاستقامة هي غاية الكمال الديني؛ لأنها القصد إلى الهدف الأسمى، ولانها روح الإسلام وغايته، وهي تهذيب روحي، واتجاه نفسي، وقد نهى عما يؤدي إلى الانحراف عن الاتجاه المستقيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

فهؤلاء الظالمون يصدون الناس ويمنعونهم عن اتباع الحق ويحولون دون سلوكه ويبغون الطريقة المؤدي إلى الإيمان عوجاً مائلة منحرفة وذلك بإلقاء الشبهات في قلوب الناس وقلب معاني الدلائل الدالة على صحة دين الإسلام وهم جاحدون وجودها منكرون البعث بعد الموت، فلن يفلتوا عن قبضة الله، ولا يتمكنون من الهرب إذا أراد عذابهم للانتقام منهم وليس لهم أولياء يقدرون على تخليصهم أو يدافعون. (٢)

فهذا نهى عام عن موالاة الظالمين، ومناصرتهم، واتباع سبيلهم. ومن الذين ظلموا، أولئك الذين يتأولون كتاب الله حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم، فيضلّون ويضلون غيرهم.

سادساً: طاعة الله وطاعة رسوله ويكون ذلك بأمرين:

١. الاعتصام بحبل الله وعدم التنازع والاختلاف

فالتنازع يسبب التفرق، والتفرق يؤدي إلى الوهن، لذلك نهى الله المؤمنين عن التفرق، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]

أمر بالاعتصام ونهي عن التفرق "فثنى أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم؛ وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء". (٣)

(١) ينظر: لباب التأويل للخازن، ٥٠٦/٢. فتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي الحنبلي، ٣٨٠/٣.
(٢) ينظر: بيان المعاني عبد القادر بن ملا، ١٠٨/٣.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٢/٤.

"أي: لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم، كما اختلف اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين، يعادي بعضكم بعضا، ويحاربه. أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق، ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم، وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام".(١)

وبيان لضرر التفرق والتنازع، في أنه سبب للوهن قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]
ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم؛ فتضعفوا وتجبنوا، وتذهب ريحكم فذكر تعالى بعد الأمر بطاعته ورسوله النهي عن التنازع، والنهي عن التنازع يكون أولا بالنهي عن الخلاف، فإن الخلاف يؤدي إلى النزاع، والنزاع يؤدي إلى التنابذ والتدابر، وأن يكون كل فريق جمعاً منفصلًا عن الآخر، ويكون بأْسُهم بينهم شديدًا، وإن الأثر الواضح للتنازع هو الفشل والفشل هو العجز، بحيث كان النزاع كان العجز عن عمل جماعي؛ لأن العمل الجماعي يجب أن تتضافر فيه القوى، ويكون كل جزء من الجماعة متعاونا مع الجزء الآخر، فتتحد القوى، وتتلاقى نحو هدف معين يجمعها.(٢)

فهذه دعوة وأمر لبناء الصف الذي يرتكز على طاعة الله ورسوله، فالله سبحانه وتعالى يبين أن طاعة الله ورسوله عاصمة من الوهن، وهي الرباط المحكم الذي يحول بينه وبين التفرق أو التمزق، أو التشرذم، وطالما التزموا بطاعة الله ورسوله في كل شؤونهم، وردوا ما اختلفوا فيه إلى الله والرسول.

٢. عدم موالاة الكفار والمنافقين

ومن علاج الوهن عدم موالاة الكفار وتنقية الصف من المثبطين والمرجفين والْمُخَذّلين من المنافقين، وفضحهم، وكشف باطلهم للناس، حتى لا يغتروا بهم، فهؤلاء لا يألون المؤمنين خبالاً، ولا يزيدونهم إلا وهْناً، ويسعون في مضرتهم ومشقتهم، وينشرون مقالة التخذيل والسوء بينهم، يسوءُهم ما أصاب المؤمنين من خير، ويستبشرون بكل بلية تنزل بهم.

(١) محاسن التأويل للقاسمي، ٢/٣٧١.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٣/٥٧٥. زهرة التفاسير لابي زهرة، ٦/٣١٤٩.

والنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر. (١)

وفي هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصداقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. (٢)

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٤]

أي لا تجعلوهم خاصة لكم، وبطانة توالونهم من دون إخوانكم من المؤمنين، كما فعل المنافقون من موالاتهم للكافرين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً والاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة وبينة يعذبكم بها بسبب ارتكابكم لما نهاكم عنه من موالاة الكافرين . وهذا يعني مصاحبتهم، ومصادقتهم، ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم. (٣)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ٣١٣/٦. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣٠/٢.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٢٧.
(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني، ٦١١/١. محاسن التأويل للقاسمي، ٣٨٠/٣.

البطانة: الدخلاءِ الذين يستبطنون ويتبسط إليهم، يقال فلان بِطانة لفلان أي مداخل له ومُؤانس، فالمعنى أن المؤمنين أمِروا ألا يداخلوا المنافقين ولا اليهود، فأمروا بألا يداخلوهم لئلا يفسدوا عليهم دينهم. فالآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصِلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة، والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مباطنتهم.(١)

قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦ – ٤٧]

فمعنى{عُدَّةً} صحة عزم ونشاط نفس، أو الزاد والراحلة ونفقة الحاضرين من الأهل. و{كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ} لوقوع الفشل بتخاذلهم أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال {لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} أي: نقصاً،{وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ} أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، {يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ} أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.(٢)

والانبعاث النهوض للخروج مع المجاهدين، وكراهية اللّه تعالى لخروجهم لما علم سبحانه أنهم يريدون الخبال والاضطراب للمؤمنين والحكمة من قوله: {فَثَبَّطَهُمْ} هي المصلحة المترتبة على منعهم من الخروج، فما أريد التثبيط لذاته، ولكن أريد ما يترتب عليه من حماية جيش الإيمان من الفتن يبثونها فيه، وإثارة الخلاف، إن سنحت لهم أسبابه ولا يضعف الجيش إلا النزاع.

قال تعالى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠]

فالإرجاف التماس الفتنة وإشاعة الكذب والباطل للاغتمام به والمعنى أن المنافقين قد جمعوا بين النفاق ومرض القلوب والإرجاف على المسلمين، وهم المخبرون بالأخبار

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج، ٤٦٢/١. زاد المسير لابن الجوزي، ص٣١٨.
(٢) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، ٢٤/٢. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٣٣٩.

الكاذبة المشوشة المضعفة لعزائم المسلمين في الجهاد، عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين، بأن يقولوا: انهزموا، وقتلوا، وأخذوا، وجرى عليهم كيت وكيت، وأتاكم العدو، وغير ذلك من الأراجيف المؤذية الموقعة لقلوب المسلمين في الاضطراب والإنكار والرعب، وكذلك الإرجاف يعم كل ما توحي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة من أمثال هؤلاء. (١)

(١) ينظر: جامع الأحكام للقرطبي، ٢١٦/١٤. تيسير الكريم ارحمن للسعدي، ص ٦٧١. فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١٤٦/١١. حدائق الروح والريحان للهرري، ١٢٩/٢٣.

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أمابعد:

فبعد هذا التطواف في كتاب الله تعالى عن الوهن في القرآن الكريم معناه وأسبابه ومعالجة القرآن الكريم له نخلص إلى النتائج التالية:

١. أنّ الوهن يأتي بمعنى: الضعف في الإرادة والعمل، وضعف لأمر خارجي ليس للإنسان فيه يد، فيكون الوهن في ثلاثة أشياء: ضعف في القلب، وضعف في البدن، وضعف في العمل.

٢. من العلماء من فرق بين الوهن والضعف وذكر أن: الضعْف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعله أما الوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، وفي الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي وهو: الضعف من حيث الخلق، أو الخلق. ويأتي بمعنى الفتور والجبن عن قتال العدو، والضعف: انكسار الجد بالخوف.

٣. وفي القرآن الكريم وردت أقسام للوهن تعرف من خلال السياق القرآني، حيث وردت ثلاثة تقسيمات للوهن وهى: وهن القلب، ووهن البدن، ووهن من يتخذ أولياء من دون الله يستنصرون بهم ويعتمدون عليهم.

٤. وهن القلب والمقصود به: انكسار حدته، فيضعف بعد قوة، ويفتر بعد عزم، ويخور بعد شجاعة وسببه فتور وخوف وتضعضع؛ فيؤثر في أداء وظائفه، فالقوة والعزم والشجاعة، كلها وظائف يقوم بها القلب، فإذا وهن عجز عن أداء تلك الوظائف.

٥. وهن البدن: وهو الضعف بعد قوة، وهو مادي ويتمثل في كبر السن، والأمراض، ووهن الحمل والولادة، وأما السبب الثاني فهو معنوي تتمثل في الخوف والحزن والهم

٦. وهن الولاية من دون الله يراد به: إما وهن الكيد، وإما وهن الولاية، والكافر واهن الولاية والكيد.

٧. أسباب وهن القلب في القرآن ترجع إلى سببين وهما: كره القتال حيث أن منشأ كراهية المؤمنين للقتال يرجع إلى القروح والآلام التى تصيبهم؛ وهذا بدوره يؤدي إلى الوهن الذي يصيب القلوب؛ فيتولد عن ذلك ضعف وجبن وفتور وقعود عن القتال في سبيل الله تعالى.

وحب الدنيا فبين القرآن الكريم أن حب الدنيا ومتاعها يوهن القلب؛ إذ يتعلق بها، فيدفعه ذلك إلى التثاقل عن الجهاد، وإيثار القعود والراحة.

٨. أسباب وهن البدن في القرآن الكريم يدور حول سببين **أحدهما** مادي ويتمثل في كبر السن، والأمراض، ووهن الحمل والولادة، وأما **الثاني** فهو معنوي يتمثل في الخوف والحزن وهى تصيب القلب بالوهن، ويظهر أثرها في البدن من خور وضعف.

٩. أسباب وهن موالاة غير الله: حيث أفاض القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أسباب إذا تعلق بها الإنسان فإنه يفقد ولاية الله ونصرته ولا يجد غير الخذلان وله أسباب ستة وهي:

أ. اتباع اليهود والنصارى فاتباع اليهود والنصارى يؤدي إلى الوهن والذلة وتخلى نصرة الله وولايته لمن أطاعهم واتبع ملتهم.

ب. طاعة الشيطان واتباع أمره: ونصيب الشيطان يكون بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلالَ والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق، فمن أجاب دعاءَه واتَّبع ما زينه له، فهو من نصيبه المعلوم، وحظّه المقسوم.

ت. التعاظم والاستكبار عن عبادة الله: الذين أَنفوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبرًا، فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

ث. عدم اتباع ما أنزل الله وهو القرآن: فلقد أنزل الله هذا القرآن محكماً متقناً، لئلا يقع فيه شك واشتباه؛ وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه ولا يتبع ما يضاده من الأهواء؛ فمن اتبع غيره فإنه سوف تتخلى عنه ولاية الله.

ج. الركون إلى الظالم: وهو السكون إليهم والاطمئنان والموادة والرضا والميل إلى إليهم.

ح. التنازع والاختلاف: وهذا السبب أكثر تعلقاً بالمؤمنين فقد يصيبهم الوهن؛ إن بارزوا الله بمعاصيهم وضعف إيمانهم بالله وتنازعوا فيما بينهم، فالتنازع يسبب التفرق، والتفرق يؤدي إلى الوهن، لذلك نهى الله المؤمنين عن التفرق.

١٠. علاج وهن القلب: وعلاج وهن القلب يكون بإزالة أسبابه والتي تمثلت في كراهية القتال والموت في سبيل الله، وحب الدنيا وعلاج القرآن هنا يكون ببيان عدة أمور تعمل على تصحيح مفهوم الواهن وتبصيره بحقائق الأمور حتى تنقشع الغشاوة عن قلبه ويزول أثر هذا الوهن قلبه فيتعافى بإذن ربه وهذه الأمور التي ينبغي للقلب الواهن أن يدركها:

أ. إدارك أن أجل الله لا يتقدم ولا يتأخر وبهذا يدرك المؤمن أن هذا قضاء الله وقدره وعليه الإيمان به، وعلى ذلك لا ينبغى أن يضعف ويستكين، بل يصبر ويستمر في جهاده وإقامة دين الله.

ب. سنة التدافع وأن الأيام دول: يبين الحق سبحانه وتعالى أن الأيام يداولها بين الناس، فمرة ينتصر أهل الحق، ومرة يغلب أهل الباطل، ومرة تصيب المسلمين الهزيمةُ والقروحُ والجراحُ وذهابُ النفوس وتلفُ الأموال، ومرة يصيب أعداءَهم ذلك الأمر. فكما يألم المسلمون يألم الكافرون. فالألم مشترك بين الطرفين، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فإن قروح المسلمين وجراحهم وبلاياهم لها ثمنها، من قُتل منهم فله الجنة، ومن أصيب في مال أو ولد فله ثوابه عند ربه، ولن يضيع ما عمله من عمل، ثم إن المؤمنين أهدافهم سامية وقيمهم رفيعة، وغايتهم الجنة، وبهذا يتبدد الوهن عن قلبه.

ت. معرفة قيمة هذه الدنيا وعدم إيثارها على الآخرة: يقرر القرآن الكريم أن هذه الدنيا التى يتعلق بها الإنسان؛ فتمنعه من القتال، وتُقعِده عن العمل، وتدفعه إلى التثاقل عن الطاعة ليست إلا متاعاً زائلاً، لهواً

ولعباً، سرعان ما يزول، وتذهب كل لذائذها، وتفنى شهواتها، وأما دار الخلود فهي الجنة.

١١. علاج وهن البدن كما ذكره القرآن يتمثل في أمرين:

أ. علاج الوهن الذي سببه الشيخوخة وكبر السن: وهى مرحلة عمرية، وسنة من سنن الله الكونية التي جعلها الله في الدنيا، يتمثل علاجه في حسن الصلة بالله تعالى المتمثلة في عبادته ودعائه وشكره والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى فهذه أدوية معنوية تزيد من إيمان العبد فيقوى بذلك بدنه؛ لأن كبر السن ومرحلة الشيخوخة أمر مقدر ولا علاج له من هذه الناحية، ومن ناحية الحمل والطلق والنفاس كلها من مسببات الوهن لبدن الإنسان وهى عوارض تطرأ على الجسم لفترات معينة ومؤقتة، وعلاج ذلك يكون في القرآن يكون بالصبر والصلاة. فيبين القرآن الكريم أن الصبر سلاح المؤمنين، والصبر قوة، القلب على تجاوز المكروه وتحقيق المحبوب، فتجاوز المكروه يتمثل فيتحمل الشدائد النازلة، ومن دون الصبر فلا يكون الإنسان إلا كتلة من الوهن، والمؤمن مأمور بالصبر على بلاءٍ حَلّ به، أو مصيبةٍ نزلت به، وحين يصبر يؤجر، وهذا من عزم الأمور، الذي لا يُلَقّاه إلا الصابرون.

ب. علاج الأمراض المعنوية التي تعتري القلب: والمقصود بها الحزن والخوف والهموم والغم وهى تصيب القلب بالوهن، ويظهر أثرها في البدن من خور وضعف، وعلاجها إنما يكون بتحقيق الإيمان بالله وبقضائه وقدره في القلب، واستشعار معية الله، والتوكل على الله، وولايته، واليقين أن المصائب والبلايا تكفر خطاياه، فيصبر ويحتسب.

١٢. علاج وهن مولاة غير الله ويكون بالأمور التالية:

أ. مخالفة اليهود والنصارى: فاتباع اليهود والنصارى يؤدي إلى الوهن والذلة وتخلي نصرة الله وولايته لمن أطاعهم واتبع ملتهم.

ب. مخالفة الشيطان وعدم اتباع أمره: فموالاة الشيطان وطاعته من الوهن وعلاجه إنما يكون بمخالفته.وهو العهد الذي أخذه الله على أبناء آدم جميعاً، هو أن يتجنبوا عبادة الشيطان، وأن يحذروا الاستجابة له فيما يدعوهم إليه، وأن يعبدوا الله وحده.

ت. الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالعبادة: فالوهن هنا يتمثل في الاستكبار وعدم قبول الحق فمن يتصف بهذا تتخلى عنه نصرة الله وولايته، فيكون العلاج بالخضوع لله والتواضع له والإيمان به والتذلل بعبادته.

ث. اتباع القرآن والاحتكام إلى شرعه: وذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية ونور مبين من عمل به هدي إلى الصراط مستقيم، فاتباعه موالاة لله تعالى وعزة وعصمة لمن اتبعه، والوهن إنما يكون في مخالفته والسير في غير هداه.

ج. عدم موالاة الظالمين والركون إليهم: فحقيقة الركون الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به وطاعتهم والميل إليهم والرضا بأعمالهم وعلاج ذلك يكون بعدم موالاتهم والركون إليهم ولا يتم هذا إلا بالاستقامة والايمان.

ح. طاعة الله وطاعة رسوله ويكون ذلك بأمرين:

١. الاعتصام بحبل الله وعدم التنازع والاختلاف: فالله سبحانه وتعالى يبين أن طاعة الله ورسوله عاصمة من الوهن، وهي الرباط المحكم الذي يحول بينه وبين التفرق أو التمزق، أو التشرذم، وطالما التزموا بطاعة الله ورسوله في كل شؤونهم، وردوا ما اختلفوا فيه إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم.

٢. عدم موالاة الكفار والمنافقين: ومن علاج الوهن عدم موالاة الكفار وتنقية الصف من المثبطين والمرجفين والْمُخَذّلين من المنافقين، وفضحهم، وكشف باطلهم للناس، حتى لا يغتروا بهم، فهؤلاء لا يألون المؤمنين خبالاً، ولا يزيدونهم إلا وهْناً، ويسعون في مضرتهم ومشقتهم، وينشرون مقالة التخذيل والسوء بينهم، يسوءُهم ما أصاب المؤمنين من خير، ويستبشرون بكل بلية تنزل بهم.

فهرس المصـــادر والمـراجع

م	المصادر والمراجع
١.	القرآن الكريم
٢.	ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.
٣.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الأمثال في القرآن، الناشر: مكتبة الصحابة - مصر- طنطا - بجوار محطة القطار - خلف المعهد الأزهرى شارع الجنبية الغربي، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.
٤.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الفروسية، المحقق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، الناشر: دار الأندلس - السعودية — حائل، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ — ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١.
٥.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية،عدد الأجزاء: ٢.
٦.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.
٧.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم

	الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، المحقق: محمد عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان / مكتبة فرقد الخاني،، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٩.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الفوائد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.
١٠.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.
١١.	ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
١٢.	ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
١٣.	ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، شرح العقيدة الأصفهانية، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى

	– ١٤٢٥هـ،عدد الأجزاء: ١.
١٤.	ابن تيمية: مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٥.	ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٦.	ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠.
١٧.	ابن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٣.
١٨.	ابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، :مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة : الأخيرة – ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء : ٢٦.
١٩.	ابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ، عدد الأجزاء: ٢.
٢٠.	ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، تفسير ابن عرفة، المحقق: جلال

	الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤.
٢١.	ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٢٢.	ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المغني لابن قدامة، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٢٣.	ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.
٢٤.	ابن مفلح:محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.
٢٥.	ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، (مادة لعن)، ٣٨٧/١٣، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٢٦.	أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المِكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٥.
٢٧.	أبو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد

	سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
٢٨.	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
٢٩.	أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠.
٣٠.	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩.
٣١.	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٢.	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠.
٣٣.	أبو عبد الله: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٤.	أبو منصور: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

٣٥.	أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ، عدد الأجزاء:٦.
٣٦.	الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
٣٧.	الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢.
٣٨.	الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦.
أهم المصادر والمراجع	
٣٩.	البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.
٤٠.	البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي —بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء :٥.
٤١.	البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢ .

٤٢.	البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
٤٣.	الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.
٤٤.	حكمت بن بشير بن ياسين، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤.
٤٥.	الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٦.	الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الكبائر، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.
٤٧.	الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٨.	الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.
٤٩.	السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد

	الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٥٠.	الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
٥١.	الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسال، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.
٥٢.	عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، الناشر: مطبعة الترقي — دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.
٥٣.	عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي — القاهرة.
٥٤.	عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة :٤.
٥٥.	العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر.
٥٦.	عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الناشر: دار الفيحاء — عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٢.
٥٧.	الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٥٨.	الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.
٥٩.	الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء:٢.
٦٠.	القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
٦١.	الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٦٢.	الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.
٦٣.	مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧.
٦٤.	محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، أوضح التفاسير، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ١.
٦٥.	مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثم رقم: ٥٤٢، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،

	الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
٦٦.	نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.
٦٧.	النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار، الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٦٨.	النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).
٦٩.	الهرري: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة).
٧٠.	الهرري: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة).
٧١.	الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء:٢٥.